فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "مدرسة الحياة"
وبالوالدين إحسانا
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال
رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-58791.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أهلاً ومرحبًا بإخواني وأخواتي وأهلي وأحبابي وأسأل الله سبحانه وتعالى الذي جمعني وإياكم في هذه الساعة المباركة على طاعته أن يجمعني وإياكم في جنته ودار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

لماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

في كثير من الأوقات أجد دائمًا أن أمتنا تترك الخير، تترك المكانة العالية للمكانة السفلى، تترك الخير للشر، قد ينطبق عليها في بعض الأوقات قول الله تبارك وتعالى في شأن بني إسرائل "أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ" البقرة: ٦١

بنو إسرائيل عندما خرجوا من مصر الله سبحانه وتعالى قال لهم "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ" طه: ٨٠ ، طعام وشراب خاص من صنع الله سبحانه وتعالى أعطاه الله تبارك وتعالى لهم، طير ما شاء الله طعمه رائع جدًا، شيء جميل جدًا جدًا جدًا، وشراب أحلى من العسل وأبرد من الماء البارد..

ومع ذلك بمجرد أن آتاهم الله هذا الخير العظيم –سبحان الله– قالوا "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا" قال الله لهم "أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ" البقرة: ٦١ هذه هي المشكلة، مشكلتنا هذه الأيام أننا دائمًا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، نستبدل منهج الإسلام العظيم بما فيه من فضائل ومكانة وجمال بمناهج أوروبية فاشلة أثبتت فشلها بصورة لا يكاد أبدًا للإنسان أن يتخيلها.

حكاية عيد الأم وسبب وجود مثل هذا اليوم

الكل يحتفل بعيد الأم والمنهج الأوروبي الفاشل قال أن الأم لها يومًا واحدًا فقط، أين الأب؟ هذا أول أمر يدل على فشل هذا المنهج، والأم يُجعل لها يوم واحد فقط في السنة؟! وسائر السنة؟! لا لا، لا نهتم بها، أوروبا اليوم

علموا أولادهم ١٦ سنة الولد أو البنت يبدأ يشق طريقه، بدأ يبتعد تمامًا عن الأسرة، بدأ ينفصل تمامًا عن الأسرة، بدأت تهمل في حق الأب، تهمل في حق الأم، وهو كذلك الشاب أيضًا كذلك يهمل في حق أبيه، يهمل في حق أمه، بعض الناس الذين لايزال عندهم شيء من الفِطرة –لن أقول الدين لأنهم أقوام بلا دين أصلاً–، الشيء من الفطرة، بدأت فطرتهم تدفعهم كيف نحن مضيعين لحق الآباء ومضيعين لحق الأمهات؟ إذن ماذا نفعل؟ قالوا نعمل يوم واحد في السنة كل شاب وكل فتاة يتذكروا أمهاتهم في هذا اليوم يذهبون، يحضرون لهم هدية بسيطة، يذهبون يرمون لهم الهدية وبعد ذلك يعودون مرة أخرى إلى الحياة، بعدما ضيع أمه ورماها ولم يعترف لها بالفضل أو بالجميل أو بحسن الخدمة التي قدمتها له قبل ذلك أو لها قبل ذلك.

مقارنة بين منهج الإسلام ومنهج الغرب الفاشل في بر الآباء والأمهات

للأسف نحن اليوم استبدلنا منهجنا الإسلامي العظيم بهذا المنهج الفاشل، وهذه هي مشكلتنا، مشكلتنا دائمًا أننا نعتقد أن الإسلام لا ينفع في زماننا مع أننا مع أي مقارنة يسيرة بين هذا المنهج العظيم وأي منهج موجود آخر من صنع البشر –سبحان الله– المسألة مسألة فطرة، المسألة مسألة توقف عقلي للحظات، قارنوا بين هذا المنهج منهج يوم واحد في السنة للأم والأب هذا ليس له أي قيمة ولا أي مكانة بمنهج الإسلام الذي أحببت اليوم أن أضعه أمامي، إن منهج الإسلام الذي قالنا أن البر بالأب والأم ليس قاصر على مدة حياتهم فقط بل سيظل هذا البر مستمر حتى بعد موت الأب والأم، قارنوا بين هذاالمنهج منهج يقول أن برك بوالدك ووالدتك يستمر لا ينقطع أبدًا حتى بعد موتهم البر متواصل، وبين منهج غربي فاشل يقول أن الأم فقط هي التي لها يوم واحد في السنة والأب دوره مهمل تمامًا والأم ٣٦٤ يوم من السنة ليس لها أي قيمة وليس لها أي مكانة في قلوب أولادها.

الوالد أوسط أبواب الجنة

لنرى المنهج الإسلامي، المنهج الإسلامي الذي قال لنا أن بر الأب وبر الأم الاثنين لابد وأن يكونا معًا إن مثلما جعل الله –سبحانه وتعالى– لأبواب الجنة عبادات، يعني مَن صنعها نودي عليه من هذه الأبواب، إن كان من أهل الصلاة.. نودي عليه من باب الصلاة، إن كان من أهل الصيام.. نودي عليه من باب الريان، هناك أبواب أخرى هذه الأبواب الأخرى جعلها الله تبارك وتعالى للوالدين كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– والحديث عند الترمذي من حديث أبي الدرداء قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "الوالد أوسط أبواب الجنة" والوالد هنا يقصد به الأب والأم "الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه" صححه الألباني

تعلمون دائمًا أحبابي أن الوسط هو العدل هو أفضل الأشياء، فربنا –سبحانه وتعالى– يجعل أفضل أبواب الجنة وأحسن أبواب الجنة للأب والأم، قارنوا بين هذا المنهج وبين منهج فاشل يقول الأم لها يوم واحد في السنة! الأب والأم النبي –صلى الله عليه وسلم– جعل لهم باب كامل في الجنة من أبواب الجنة جُعل لبر الوالدين.

رضا الرب في رضا الوالدين

قارنوا بين هذا المنهج الفاشل الذي يقول يومًا واحدًا فقط للأم في السنة وبين منهج الإسلام اللي ربط بين رضا الله تبارك وتعالى وبين رضا الوالدين، كما ثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال من حديث ابن عمرو أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "رضا الربُّ في رضا الوالدينِ، وسخطُهُ في سخطِهما" حسنه الألباني لكي تعرفوا قيمة ومكانة المنهج الذي ارتضينا أن يكون دينًا لنا، منهج الإسلام وشريعة الإسلام، قارنوا بين منهج يقول رضا ربنا سبحانه وتعالى مقرون برضا الأب ورضا الأم، دائمًا –سبحان الله– كلما ذهبت إلى جامعة من الجامعات لابد وأن أجد هذا السؤال موجود، كيف أعرف أن الله تبارك وتعالى راضٍ عني؟ هناك أسباب كثيرة جدًا أو أشياء كثيرة جدًا تدل على رضا الله أيسرها اعرف والدك ووالدتك راضين عنك أم لا؟.

العاق لوالديه مهما قدم من طاعات وعبادات لا يقبل الله عمله

قارنوا بين هذا المنهج وبين المنهج الفاشل الذي يقول الأم لها يومًا واحدًا فقط، قارنوا بين هذا المنهج الفاشل منهج يوم واحد للأم والأب ليس له أي قيمة وبين منهج الإسلام الذي قال مهما الأخ التزم أو مهما الأخت التزمت، مهما الإنسان تقرَّب إلى الله عز وجل بالعبادات والطاعات والقربات فإن هذه الطاعات والقربات لا تساوي عند الله شيئًا بل هي أصلاً غير مقبولة عند الله طالما أنه عاق لوالديه ولو بكلمة كما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفًا ولا عدلاً" أنا لا يهمني أبدًا طول لحيتك أو الأخت تنتقب وتكون سيئة الخلق مع الأب أو الأم، الأخ ما شاء الله كان بارًا جدًا وبمجرد أن التزم أصبح سيّئًا جدًا في العلاقة مع والديه، ما قيمة هذه العبادة أصلاً وأنت عاق لوالديك؟!

قال –صلى الله عليه وسلم– انظروا منهجنا ماذا يقال فيه "ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفًا ولا عدلاً: عاق ومنان ومكذِّب القدر" حسنه الألباني الصرف: هو الفرض والعدل: هو النافلة، يعني مهما تقربت إلى الله بفرائض أو نوافل فإن الله لا يقبل منك هذه الفرائض ولا هذه النوافل طالما أنك عاق لوالديك جعل النبي على رأس هؤلاء الذين رُدَّت أعمالهم بل وحبطت أعمالهم "عاق"

قارنوا بين هذا المنهج الفاشل منهج أوروبا الفاشل الذي أعطى للأم يومًا واحدًا فقط في السنة وبين منهج الإسلام الذي قال مَن أحسن العلاقة التي بينه وبين ربه –تبارك وتعالى– فأحسن الصلاة والصيام والزكاة والحج وقيام الليل والعمرة ومع ذلك قد استوجب بهذه الأعمال أن يكون في أعلى درجات الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أنه قد يُحال بينه وبين هذه المنزلة بسبب أنه كان عاقًّا لوالديه، كما عند ابن خزيمة "جاء رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم رجلٌ مِنْ قُضاعةَ، فقال له: يا رسولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إن شهدتُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأنك رسولُ للهِ، وصَلَّيْتُ الصلواتِ الخمسَ، وصُمْتُ الشهرَ، وقُمْتُ رمضانَ، وآتيتُ الزكاةَ. فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: مَنْ مات على هذا كان مِنَ الصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ" تخيلوا الأعمال التي ذكرها الآن توجب له أن يكون في الجنة، لا، لا في أعلى درجات الجنة، في جنة عدن في الفردوس الأعلى، قالَ رسولُ اللَّهِ –صلَّى اللَّهُ عليهِ

وسلَّمَ-: "مَن ماتَ علَى هذا كانَ معَ النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ يومَ القيامةِ هَكذا ونصَبَ أُصبعَيهِ – انتبهوا من الآتي– "ما لم يعُقَّ والدَيهِ" صححه الألباني يعني لو عقيت والديك في هذه الحالة كل هذا يسقط، كل هذا ليس له قيمة.

الزم أقدامهما فثم الجنة

قارنوا بين المنهج الفاشل منهج أوروبا الذي أعطى للأم يومًا واحدًا فقط وأهمل الأب تمامًا وبين منهج الإسلام، اسمعوا جيدًا الذي جعل الجنة تحت أقدام الآباء والأمهات، للأسف أصبح من المنتشر عندنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات هذا الحديث بالنص ضعيف لا يثبت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أما النص الصحيح أن الجنة تحت أقدام الاثنين.

قارنوا يا أحبابي بين هذا المنهج وبين المنهج الفاشل الآخر منهج أوروبا لكي نعرف قيمة المنهج الذي نحن عليه، كما روى أبو داود وابن ماجه والطبراني واللفظ للطبراني من حديث معاوية رضي الله عنه "قال أتيت إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقلت يا رسول الله أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة" –أنا أتيت أطلب الجهاد، لماذا؟ والله ما أبغي بهذا مال ولا غنيمة ولا أي شيء، أنا أتيت أتقرب فقط لله بهذا العمل فقط– أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– ويحك أَحَيّ والداك؟ قلت بلي يا رسول الله قال ارجع فالزم اقدامهما، قال فأتيته عن يمينه وقلت يا رسول الله جئت أريد الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال ويحك أحي والداك؟ قلت بلى يا رسول الله، قال الزم أقدامهما، قال فأتيته عن أمامه –انظروا مدى شغف هذا الرجل للجهاد وحب الجهاد– قال فأتيته من أمامه يا رسول الله جئت لأجاهد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال ويحك أحي والداك؟ قلت بلي يا رسول الله، قال الزم أقدامهما فثم الجنة".

أب وأم إذن الجنة تحت أقدام الآباء والأمهات الذي يقول تحت الأم فقط كلام غير صحيح، حديثها ضعيف ولكن الصحيح أن النبي قال "الزم أقدامهما –الأب والأم– فثم الجنة"، وفي رواية صحيحة "فإن الجنة هناك"

تخيلوا أحبابي هذا المنهج الذي لا يقول فقط أن عليك أن تلزم الرفق بالأب أو بالأم، حسن المعاملة بالأب أو بالأم حسن الطاعة بالأب أو بالأم، لا أنت تلزم الأقدام، تلزم الأقدام، انتبهوا من هذا المعنى، معنى أن النبي يقول لنا أن الطاعة أنك تكون تحت أرجلهم إذن هي تحت أرجلهم، قارنوا أحبابي بين هذا المعنى أن طاعة الوالدين أنك تكون تحت أرجلهم وبين معنى العقوق.

تعرفون يا أحبابي ما معنى العقوق؟ لماذا اختار الشرع كلمة عقوق بالذات وجعلها مع الوالدين؟ مثلاً معصية الوالدين، لماذا لم تسمى معصية الوالدين؟ لماذا لم تسمى مخالفة الوالدين؟، لماذا اختار الشرع لفظة عقوق يقرن دائمًا مع الأب والأم؟ تعرفون لماذا يا أحبابي؟ لأن أقل معصية حق الأب أو الأم هي ذبح للأب أو الأم، وهذا هو التعريف اللغوي لكلمة عقوق، العقوق مأخوذة من الذبح ويكأن إذا عصينا الأب أو الأم أو مثلاً نظرنا نظرة حادة أو اشتدينا في الكلام أو كذا ويكأن هذا ذبح للأب والأم.

غدًا يا شباب وأنا أعرف أن القطاع الأكبر من مشاهدي البرنامج من الشباب، أود أن أقول لكم غدًا ستكونون آباء وأمهات وستعرفون جيدًا معنى أن ينظر ولد لأمه نظرة حادة أو ولد أساء الأدب مع أمه، يا شباب اعلموا هذا الكلام يقينًا إن أي شيء بسيط مع الأب والأم لابد أن تكون منه حساس جدًا لأن أي شيء مع الأب والأم هذا ذبح لهما، لابد أن تنتبه لهذا الكلام، هذا ذبح، لذلك استعمل الشرع لفظة عقوق مع الأب والأم، لم يستخدم أي لفظ آخر إنما استخدم عقوق الوالدين لأن أي شيء يُصنع مع الأب والأم هذا ذبح لهما.

عاق والديه يُعجِّل الله عليه العقوبة في الدنيا قبل الآخرة

قارنوا يا أحبابي بين منهج أوروبا الفاشل الذي أعطى الأم يومًا واحدًا فقط وبين منهج الإسلام الذي جاء بتحذير أنا لا أعلم قط تحذير كهذا التحذير، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول كما في حديث أنس "بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا قبل الآخرة البغي والعقوق" صححه الألباني

هناك ذنبان إذا وقع الإنسان في واحد منهما أو الاثنين حتمًا ولابد أن الله سبحانه وتعالى يُعجِّل عليه العقوبة في الدنيا قبل الآخرة وهذا فيه دليل على أنه يُعاقب مرتين..

الله تبارك وتعالى يجعل مسألة العقوبة في الدنيا وفي الآخرة، "بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا قبل الآخرة البغي والعقوق" الظلم وعقوق الوالدين حتمًا ولابد والله أن تذوق من نفس الكأس الذي أنت أذقته لوالدك ووالدتك.

من واقع الحياة.. كما تدين تدان

*عقَّ أمه فعقته ابنته

أنا لا أنسي أبدًا موقف حدث معي أنا شخصيًا، كنت خطيب جمعة في مسجد من المساجد، وكنت أتكلم عن بر الوالدين، بر الوالدين ليس من الخطب أو الدروس التي تجعل الناس تبكي ولكن هي خطب تحرك مشاعر الناس، – يا ناس انتبهوا هناك أشياء خطيرة ممكن نقع فيها ونحن لا ندري ثم نفاجأ بعد ذلك بعقوبات شديدة جدًا–، وأنا أرى في آخر المسجد رجل ما شاء الله يرتدي بدله وكرافته وشكله واحد ابن ناس، فسبحان الله انتهت الخطبة وهذا الرجل ما توقف أبدًا عن البكاء من أول الخطبة فكان وقع في خاطري أن الرجل لديه مشكلة ومشكلة كبيرة!، فسبحان الله بعد انتهاء الخطبة أنا نزلت وناس بتسلم عليّ، آخر واحد خبط على كتفي ويريد أن يسلم عليّ كان هذا هو الشخص الذي لم يتوقف عن البكاء طوال الخطبة، فالتفت إليه فسلمت عليه وقلت له أهلاً وسهلاً حضرتك.. ممكن نتعرف؟ قال لي أنا الأستاذ فلان الفلاني، أستاذ دكتور في كلية كذا كذا كذا قلت له والله أنا أرى حضرتك من أول الخطبة تبكي بكاءً شديدًا وبكاءً مرًا، أنا أشعر أن عند حضرتك مشكلة، هل عند حضرتك مشكلة؟ قال مشكلتي لا يكاد عقل إنسان أبدًا أن يتصورها، قلت له خير، قال لي أنا عندي مشكلتين، المشكلة الأولى مشكلة جلدية أنا لا أتحمل أبدًا أشعة الشمس، وابنتي كلما رأتني أجلس في الصالة تفتح الشباك لكي تدخل الشمس تضرب في جلدي، فأنا فزعت، فقال لي المسألة ليست ذلك فقط ابنتي عندما يحدث بيني وبينها مشكلة لا تهدأ إلا لما تبصق في وجهي، فيعني سبحان الله أنا فزعت من هذا الكلام، ما هذا؟!

هل يمكن أن نصل إلى هذا الحد؟ أن ابنة يصل بها الحال أن تبصق في وجه أبيها كلما حدثت معه مشكلة؟!، فأول شيء دار في خاطري أن هذا عقوبة، فقلت له يا دكتور هل والدك ووالدتك موجودين؟ قال لي والدي الله يرحمه من ١٥سنة مات، قلت له ووالدتك؟ قال لي والله من ما يقرب من ١٢سنة يوم أن أخذت الدكتوراه ولا أعرف عنها شيئًا، قلت له ما يُفعل بك شيء يسير يا دكتور، الذي يُفعل بك يا دكتور شيء يسير، هذا هو كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– "بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا قبل الآخرة" انتبهوا من هذا النموذج، النموذج الذي يتكرر كل يوم ونسمع حكايات أشكال وألوان سبحان الله.

*صفع أباه على وجهه فصفعه ابنه بعد ثلاثين عامٍ

يعني هذا الوالد الكريم الذي انحنى ظهره ويتكئ على عصا ومعه ابنه، وابنه أثناء مشادة كلامية يرفع يده ويضربه على وجهه يسقط على الأرض والناس تتجمع من كل مكان لكي تضرب هذا الشاب الظالم، الظالم الذي ضرب الرجل الكبير، المسن والرجل يصرخ فيهم فقالوا لعل هذه رحمة الأب يصرخ فيهم ويقول أقسمت عليكم بالله لا تضربوه، قالوا له يا حاج هذا فعل كذا وكذا؟! قال والله لقد ضربت أبي من ٣٠سنة في هذا المكان، نفس المكان هنا أنا ضربت فيه أبي على وجهه.

يا أحبابي انتبهوا ممكن اليوم يسمع الشباب هذا الكلام ولكن ليسوا مقدرين هذا الكلام حق قدره ولكن إذا ظل الإنسان منا على منهج عقوق الوالدين حتمًا ولابد سيذوق هذه المرارة.

*احتفظ بأطباق جده الخشب ليقدم فيها الطعام لأبيه

الابن الذي كان لا يقدم لأبيه –لما كبر في السن– لا يقدم له الطعام في الأطباق الصيني والأشياء الجميلة التي يأكل فيها هو، لا لا كان يحضر لوالده الطعام في طبق خشب ومعلقة خشب وظل يعامل أباه بهذه الصورة حتى جاء يوم كان هذا الأب يحتضر ويوم أن مات الجد الولد الصغير الحفيد ذهب مسرعًا وأخذ الطبق الخشب والمعلقة الخشب التي كان أبوه يحضرهم لجده، فأخذ الأطباق الخشب واحتفظ بها، فدُهش الأب وسأل ابنه يا ابني لماذا تأخذ أطباق وملاعق جدك؟ قال له يا أبي حتى تأكل أنت في نفس الإناء الذي كان جدي يأكل منه عندما تكبر، كما تدين تدان.

بر والديك مهما كان الخلاف بينكم

قارنوا بين هذا المنهج الذي يعطي تحذيرات شديدة اللهجة بهذه الصورة للأولاد والبنات لكي يعظموا حق الأب والأم، وبين المنهج الأوروبي الفاشل الذي أعطى للأم يومًا واحدًا فقط، قارنوا بين المنهج الإسلامي الذي أوجب على الأولاد أن يصلوا الآباء وأن يتعاملوا مع الآباء بكل أدب واحترام، آباء وأمهات وإن كانوا على ديانة خلاف ديانة الإنسان، يعني لو عندنا إنسان مسلم وله أب كافر الشرع أوجب عليه أن يصله، أوجب عليه أن يصله، أوجب عليه الاحترام، أوجب عليه الأدب مع هذا الأب وإن كان كافرًا.

لا ننسى أبدًا ما سطره الله تبارك وتعالى لنا في قرآنه من حسن الحوار الذي كان يدور بين إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– وأبيه "يَا أَبَتِ" مريم: ٤٢ رغم أن آذر كان على الكفر ولكن أدب إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–، أنا دائمًا أستشعر أن النصف الأول في سورة مريم يتكلم عن بر الوالدين، قال الله تعالى في شأن عيسى "وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا" مريم: ٣٢، وبعد ذلك قصة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– التدريب العملي مهما كان خلافك مع والدك سيكون الخلاف حول مسألة فقهية أو مسألة من المسائل العادية، هل من الممكن أن يصل الخلاف أن يكون خلاف عقدي أن الأب كافر والابن مسلم؟ لن يصل أبدًا إلى ذلك في كثير من مجتمعاتنا وسبحان الله مع ذلك أوجب الشرع الصلة، أوجب الشرع البر للأب الكافر سبحان الله "وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا" لقمان: ١٥، لا تطعهما فقط؟ لا وأيضًا "وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا".

كما تعلمون كما عند الترمذي أن هذه الآيات نزلت في سعد بن أبي وقاص، سعد بن أبي وقاص الذي أسلم وكان من أبر الناس بأمه، واليوم الذي أسلم فيه سعد بن أبي وقاص قالت له أمه والله لا أذوق ذواقًا حتى أموت فتُعيَّر بي ألم تزعم أن نبيك هذا يأمر ببر الوالدين أين البر؟ فكانوا بعد ذلك يفتحوا فمها بالخشب لكي يطعموها الطعام، مع ذلك ما وجدنا أبدًا أن سعد بن أبي وقاص تطاول على أمه أو أساء الأدب معها بل أحسن اليها.

قارنوا بين هذا النموذج وبين نموذج أوروبا الفاشل النموذج الإسلامي الذي قال أن واجب البر وواجب الصلة وإن كان الأب أو الأم كافر في صحيح البخاري من حديث أسماء بنت أبي بكر –رضي الله عنه وعنها– أنها جاءت إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– "يا رسولَ اللهِ إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عليَّ وهي راغبةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟" –أمي جاءت وهي مشركة أصلها؟، أنا واحدة مسلمة وهي كافرة تعبد الأصنام من دون الله، أصلها؟ أبرها؟– "قال: نعم صِلِيهَا"

بعض الشباب اليوم الأب يشرب سجائر أو الأب على معصية نجد أن فيه تطاول على الأب، يا أخي مهما كان والدك على معصية وجب بره، معصيته لنفسه، هو أساء إلى نفسه، أنت لا تسيء إلى نفسك بالعقوق ولا تسيء إلى والدك بالعقوق.

البر يجعل للإنسان صيت في أعلى جنات النعيم

فهنا قارنوا بين هذه المناهج جميعًا، قارنوا بين هذا المنهج وهذا المنهج، قارنوا بين المنهج الذي يقول فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– كما ثبت عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، قلت: مَن هذا؟ فقالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر وكان أبر الناس بأمه" صححه الألباني

النبي ليلة الإسراء والمعراج وهو في الجنة يقول سمعت صوت يقرأ قرآن فقلت مَن هذا يا جبريل فقال هذا حارثة بن النعمان وكان من أبر الناس بأمه–، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– "كذلكم البر" البر يجعل للإنسان صيت في أعلى جنات النعيم، سبحان الله –النبي صلى الله عليه وسلم– يقول في الحديث الصحيح " ما من عبد إلا وله صيت في السماء، فإن كان صيته في السماء حسنًا، وضع في الأرض، وإن كان صيته في السماء سيّئًا، وضع في

الأرض" صححه الألباني ، مثل الشباب اليوم يقول أنا أريد أن أكون متصيت، أنت ما أخبار صيتك في السماء؟ جبريل عليه السلام يقول للنبي هذا حارثة بن النعمان الذي هو من أبر الناس بأمه هو عرف بهذا العمل، عرف بهذا العمل أن أكون أنا بارًا بوالديّ بهذه الصورة.

إنَّ مِن أَبَرِّ البِرِّ صلةُ الرجل أهلَ وُدِّ أبيه

لكم أن تتخيلوا أحبابي أن تكون المقارنة بين منهج فاشل من صنع البشر منهج أوروبا الذي جعل للأم يومًا واحدًا فقط وبين منهج عظَّم حق الآباء والأمهات حتى بعد موتهم..

في صحيح مسلم من حديث ابن عمر " أنه كان يركب ذات يوم على دابته وعليه عمامته فرأى رجلاً من الأعراب – أنتم تعرفون الأعراب يعني ناس من البدو– فنزل ابن عمر من على الدابة فزع ابن عمر قفذ من على دابته وأجلس هذا الرجل الأعرابي على الدابة ليس هذا فقط بل خلع عمامته ووضعها على رأسه ليقيه من الشمس، بل أخذ بلجام دابته.. ابن عمر أخذ بلجام الدابة ليوصل الأعرابي إلى حيث شاء، والصحابة يقفون يتعجبون! هذا واحدٌ من الأعراب!

فلما أنهى ابن عمر هذا الحال مع الأعرابي قالوا له يا ابن عمر إن هذا الرجل من الأعراب وإن الأعراب يكفيهم ما دون ذلك بكثير، الأعراب يكفيهم يعني كلمة بسيطة إنما تنزل أنت ويركب هو تخلع عمامتك وتضعها على رأسه كي تقيه من الشمس وتأخذه كأنك سائق عنده حتى توصله المكان الذي يريد!، إن الأعراب يرضون بأدنى من ذلك بكثير، فقال: "إن عمر كان يحبه"، عمر أبوه "إن عمر كان يحبه وإني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول "إنَّ مِن أَبَرِّ البِرِّ صلةُ الرجلِ أهلَ وُدِّ أبيه، بعد أن يُولِّيَ" صحيح مسلم أي دين هذا؟ وأي شريعة هذه؟.

إن كان البر بالخالة يغفر الله به الذنوب، فما بالك ببر الوالدين؟

النبي –صلى الله عليه وسلم– لما يجعل لنا أصل من أعظم الأصول لمن أراد مغفرة الذنوب باب الأب أو باب الأم، كما عند الترمذي "أن رجلاً أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال يا رسول الله إني أصبت ذنبًا عظيمًا فهل لي من توبة؟ قال هل لك من أم؟ قال: لا، قال: هل لك من خالة؟ قال: نعم، قال: فبرها" صححه الألباني

قارنوا بين المناهج يا أحبابي لكي نعرف شرف المنهج الذي شرفنا الله به، لما رجل يأتي إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– ويقول يا رسول الله أصبت ذنبًا فطهرني، أصبت مصيبة، أتيت كبيرة من الكبائر، أصبت ذنبًا يا رسول الله فطهرني – فسأله النبي –صلى الله عليه وسلم– ألك أم؟ هل عندك أم؟ قال لا – يا رسول الله قد ماتت أمي– فقال النبي ألك خالة؟ قال بلى يا رسول الله، قال أحسن إليها يغفر لك.

اذا كان الإحسان للخالة يغفر به الله لي الكبائر والموبقات، فما بالكم الآن أن يكون عندي أب أو أم؟! سيكونون أعظم بابًا من أبواب المغفرة، إنما اليوم الذي يتطاول على أبيه أو يتطاول على أمه ولو بكلمة لا لا ولو بنظرة والله صدقوني سيخسر، يعني لا يخفى عليكم أبدًا أحبابي "صعود النبي –صلى الله عليه وسلم– على منبره ويطلع الدرجة الأولى ويقول آمين والثانية ويقول آمين والثالثة ويقول آمين فقالوا يا رسول الله شيئًا صنعته لم تكن تصنعه

قبل ذلك، فقال "إن جبريل عرض لي فقال" وذكر في آخر الحديث "...بعد مَن أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما، فلم يدخلاه الجنة قلت: آمين" صححه الألباني واحد أدرك والده ووالدته أحياء ولم يغفر له بحسن صحبته للأب والأم هذا إنسان ليس له عند الله شأن إلا أن يكبه الله على وجهه في النار يوم القيامة، وفي رواية أخرى صحيحة "من أدرك أبويه أحدهما أو كلاهما فدخل النار فأبعده الله" أي عن رحمته أو عن الجنة أو أبعده الله في النار ليكون في الدرك الأسفل من النار.

طاعة الوالدين مقرونة بعبادة الله تعالى

ما هذا؟ أي منهج هذا؟ وأي شريعة هذه التي تعظم حق الأب وحق الأم بهذه الصورة؟ أي شريعة هذه؟، قارنوا أحبابي بين المناهج، أنا كررت هذه المسألة عدة مرات الآن في الدرس عمدًا لأن ما تكرر تقرر، قارنوا بين الشريعة الأوروبية الفاشلة والمنهج الأوروبي الفاشل الذي جعل للأم يومًا واحدًا وقارنوا بين منهج الإسلام الذي جعل عبادة الله وبرّ الوالدين هكذا بالتوازي مع بعضهم البعض، قال الله "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً " البقرة:٨٣، وقال تعالى " وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" الإسراء:٢٣، وقال تعالى "وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" النساء:٣٦.

هذا في القرآن لكن قارنوا أيضًا في أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، في الصحيحين من حديث بن مسعود أنه سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "سألتُ النبيَّ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ–: أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ؟ – وفي رواية "أخبرني بعمل يدخلني الجنة وينجيني من النار"– قال: الصلاةُ على وقتها، قال: ثم أيٌّ؟ قال: ثم برُّ الوالدَين" صحيح البخاري

أول شيء أنك تصلي الصلاة على وقتها، حق الله ثم بعده مباشرة حق العباد وعلى رأس حقوق العباد برّ الوالدين، وعلى النقيض قارنوا بين رفع الله عزّ وجل من شأن الأم والأب بجعل طاعتهما مقرونة بعبادته وبين أن أكبر الكبائر عند الله سبحانه وتعالى التي تُقرن مع الشرك به سبحانه وتعالى قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين..." صحيح البخاري، جعل الإشراك وعقوق الوالدين على ذروة سنام أيّ ذنب من الذنوب أو أيّ كبيرة من الكبائر، أن العبد يشرك بالله بعدها مباشرة ماذا؟ أن الإنسان يكون عاق لوالديه.

البر الحقيقي يكون في كبر الوالدين

قارنوا أحبابي بين شريعة الإسلام التي جعلت الطاعة الحقيقية عندما يصل الأب والأم إلى مرحلة الكبر، وبين شريعة أوروبا الفاشلة التي جعلت للأم يومًا واحدًا، قال الله عزّ وجلّ "إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا" الإسراء:٢٣، لماذا القيد الذي وضعه الله سبحانه وتعالى الآن في هذه الآيات "إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ" لماذا ربنا جعل أن البرّ الحقيقي مع كبر الأب وكبر الأم، مع طعنهم في السن، عندما يكبرون جدًا في السن؟!، لماذا لم يقل الله أن البرّ عندما تكون أنت شاب وهما أيضًا شباب يكون هذا هو البرّ؟، لا ليس هذا هو البرّ، تعرفون أحبابي لماذا اشترط الله هنا كبر السن أو وضع كبر السن في الآية؟

لأن ممكن الآن وأنا صغير في السن ١٠ أو ١٢ سنة ووالدي مثلاً يكون عنده ٤٠ سنة أنا محتاج لوالدي يعني أنا الذي أحتاج له، فأكون بارًا به لأن أنا أحتاج لوالدي وفي نفس الوقت هو لا يحتاج لي أصلاً لأنه ما شاء الله عنده من القوة والفتوة والصحة لا يحتاج أحد يساعده في شيء، ولكن سبحان الله جعل السن يجري به فأصبح عندك مثلاً ٢٠ أو ٣٠ أو ٤٠ سنة والأب طاعن في الستين أو في السبعين، هنا الأمر تغير تمامًا، لماذا؟ أنت الآن لا تحتاج والدك في شيء، والدك أنت استغنيت عنه، أنت عندك من القوة والصحة ما به تستغني عن والدك، الأمر الثاني أن مرحلة بلوغ الأب أو الأم مرحلة هذا السن الكبيرة أصبح ضعيف هو الذي يحتاج لك الآن، بدأ هذا الأب –سبحان الله– العقل يضعف، عاد الإنسان كما بدأ حياته ضعيفًا "ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً" الروم: ٥٤، العقل بدأ يضعف ممكن يطلب الطلب خمسين، ستين مرة وسبحان الله سبحان الله، هنا قال لك ربنا أن البرّ الحقيقي يظهر في الوقت الذي تكون فيه مستغنٍ عن أبيك وأمك وهما في أشدّ الحاجة إليك، عرفت السر القرآني؟ عرفت معاني القرآن؟ "إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ" الإسراء: ٢٣.

لذلك فهم ابن عمر –رضي الله عنه– هذا المعنى فهمًا دقيقًا، فلما جاءه رجل وهو يحج بيت الله الحرام وهو يطوف حول البيت جاء رجل شاب يحمل أمه على ظهره – حديث الأثر ذكره الإمام النروزي في كتابه البرّ والصلة شاب حاني ظهره مثلما يكون راكعًا وحامل أمه على ظهره ويقول لابن عمر: يا ابن عمر أتراني قد كافأتها؟ ترى أني هكذا رددت لها الجميل؟، قال: "لا والله ولا بطلقة من طلقاتها عند الوضع"، يوم ولادتك ولا طلقة واحدة فقط من الطلقات اللي كانت هي تصيبها في هذا الوقت ولا بطلقة واحدة من طلقاتها سبحان الله سبحان الله، ومع ذلك نحن لانزال نرى الشباب للأسف يتطاول على أبيه أو يتطاول على أمه.

كان بارًا بأبيه فرزقه الله الذرية الطيبة البارة

وعلى النقيض سبحان الله في نفس الحديث اللي ذكرت لكم الآن حديث بن مسعود أحب الأعمال إلى الله بعد طاعته سبحانه وتعالى برّ الوالدين، أنا أعرف أحد ذوي رحم، زوج خالتي، هذا الرجل أنا لم أرَ قط إنسان في برّه لأبيه كان قبل أن يضع طعامه لأولاده يجري يضع طعامه لوالده رغم أن والده هذا آذاه كثيرًا، حرمه من الميراث ومنعه من دخول البيت وصنع وصنع أشياء كثيرة جدًا، أسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، ومع ذلك زوج خالتي ما شاء الله لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان يأخذ الدراجة قبل والله أن يأكل أولاده، يأخذ الأكل ويجري على أبيه لذلك خلفه الله أولاد هم حقًا بارّين به، لذلك نقول لكم نحن نحتاج هذه النماذج المشرفة الطيبة.

بر الوالدين سبب في تفريج المحن والكربات

هذا الرجل الصالح أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدًا كان دائمًا يذكرني بمنهج الإسلام، بشريعة الإسلام، بأصل من الأصول المهمة جدًا في ديننا، هذا الأصل أحبابي أن شريعتنا جعلت تفريج الكربات وتفريج المحن التي تصيب الإنسان مقرونة ببرّ العبد بوالديه، فمن أعظم الأعمال التي يفرج الله لك بها كربك ويرفع عنك همك وحزنك أنك

تكون بارّ بوالديك وكم من خواتيم السوء يدفعها الله على العبد بسبب ما قد قدم هذا العبد لوالديه، إذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يقول: "صنائع المعروف تقي مصارع السوء" صححه الألباني

فعلك الخير للغير، للناس البعيدة عنك، الفقراء والمساكين بها يكشف الله عنك مصارع السوء فما بالك بالإحسان لوالدك ووالدتك، لا يخفى عليكم في الصحيحين من حديث بن عمر أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:

"انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم؛ حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذا الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم" الأول توسل إلى الله سبحانه وتعالى بعفته عن الحرام والزنا والثاني توسل إلى الله سبحانه وتعالى بحفظه لمال أجيره وأما الثالث فتوسل إلى الله تبارك وتعالى ببرّه لوالديه فانفرجت الصخرة وخرجوا سالمين.

هذا يعطيك معنى خطير أنه على قدر إحسانك لوالديك يكون فتح الله سبحانه وتعالى لك، على قدر إحسانك لوالديك تتنزل بركات ربنا سبحانه وتعالى عليك، على قدر إحسانك لوالديك يكون رزق الله تبارك وتعالى لك، لابد أن نفهم هذا الكلام فتفريج الكربات كان له سبب والسبب في هذا الحديث برّ الوالدين.

عطاء الله سبحانه وتعالى موقوف على برك بوالديك

بل لك أن تعلم أنّ عطاء الله تبارك وتعالى موقوف على برّك بوالديك، النبي –صلى الله عليه وسلم– كما ثبت عند أحمد في مسنده وأصل الحديث في البخاري ولكن أنا أذكر رواية أحمد لما فيها من زيادة مهمة يقتضيها المقام أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "مَن أحب أن يبسط له في رزقه" –الأرزاق فتح من ربنا سبحانه وتعالى– "مَن أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله" –يبارك له في عمره حتى يزداد من الأعمال الصالحة وغير ذلك، إذن هنا فتحين: الفتح الأول فتح في الرزق المادي، والفتح الثاني فتح رزق معنوي طاعات وإيمانيات وغير ذلك– "من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه" صحيح البخاري

مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ في عمرِه وَيُزاد في رِزْقه لِيَصِلْ رَحِمه وَلْيَبَرَّ والديه" رواية أحمد فكلما ازداد العبد برًا لوالديه سبحان الله كلما ازداد فضل الله تبارك وتعالى عليه.

هناك أثر –سبحان الله– خطير جدًا رواه الإمام البهيقي في شعب الإيمان والأثر موقوف على بن مسعود –رضي الله عنه– أنه قال: كان رجلاً ممن كان قبلنا من بني إسرائيل عاقًا بأمه، هذا الرجل كلما نودي للصلاة كانت أمه تحثه على الصلاة –قُم صلِّ– ومع ذلك كان يقول لها إنما تنهقين كما ينهق الحمار! صوتك يذكرني بصوت الحمار! هذا ابن يقول لأمه هذا الكلام، وكانت النتيجة أن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبةً لهذا الرجل بعدما دفن أنه بعد صلاة العصر من كل يوم يخرج رأسه من قبره على صورة حمار ينهق" والأثر صححه الشيخ الألباني رحمه الله تبارك وتعالى في صحيحه.

من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه

أمر خطير، قارنوا أحبابي لماذا استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير في ديننا؟، انتبهوا يا شباب، في الصحيحين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "إنَّ مِن أَكبَرِ الكبائِرِ" ليست كبيرة هينة، هذه أكبر كبيرة عند الله سبحانه وتعالى "أن يَلْعَنَ الرَّجُلُ والدَيهِ، قيلَ: يا رسولَ اللَّهِ، وَكيفَ يَلعنُ الرَّجُلُ والديهِ؟ الصحابة تعجبوا قالوا يا رسول الله وهل يسب الرجل والديه؟ قالَ: يَسبُّ الرَّجلُ أبا الرَّجلِ، فيسُبُّ أباهُ، ويسبُّ أمَّهُ فيَسبُّ أُمَّهُ" صحيح البخاري

شبابنا عندما يمزحون معًا يقولون يا ابن كذا والآخر يقول أنت ابن كذا، هذه من أكبر الكبائر عند الله سبحانه وتعالى، فما بالكم أحبابي بالذي يتطاول على أبيه بالسب في وجهه أو يتطاول على أمه بالضرب في وجهها، أين هؤلاء الناس؟ الناس غابت عنها الشريعة أصلاً، غاب عنها المنهج أصلاً، وبالتالي أصبح بالسهل اليسير جدًا أن تتطاول على الأب أو الأم.

إلى كل إنسان عاق.. احذر، احذر ورب الكعبة لعقوبة الله قريبة جدًا منك، المسألة ليست هيِّنة، الأب ليس شيء يسير عند الله، لا والله ولا الأم بالأمر اليسير الهين عند الله، لا والله أمرهم عند الله عظيم، من الممكن أن تكون المسألة بالنسبة لك هينة أو سهلة لا والله هي ليست سهلة ولا هينة، المسألة عند الله سبحانه وتعالى عظيمة، المسألة خطيرة، انتبه من هذه المسألة.

قارنوا أحبابي بين هذا المنهج وهذا المنهج، قارن منهج هذا الإسلام العظيم الذي فيه يأتي الرجل للنبي –صلى الله عليه وسلم– " فاستأذنهُ في الجهاد، فقال: أحَيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم، قال: فَفِيهِما فَجاهِدْ" صحيح البخاري

ففيهما فجاهد لا أريدك أن تجاهد معاي ارجع لأبيك وأمك جاهد معهما ، أنا لا أريدك أبدًا معاي سبحانك يا رب سبحانك يا رب ما هذا المنهج؟! ما هذا المنهج الذي فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث" صححه الألباني، ممن حرمت عليهم الجنة: العاق لوالديه، مَن منّا يستطيع تحمل هذه الأمور؟!

هذا المنهج الذي يقول فيه النبي "رضا الرب في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما" حسنه الألباني أن الله تعالى يسخط على مَن أسخط والديه، هذه الأشياء جميعًا تجعلنا نقف مع أنفسنا وقفة، هذه الوقفة التي أنا على يقين الآن أن كثير منا يقول لابد أن نوقف هذه المسألة فهي ليست سهلة ولا بسيطة، إن الملك سبحانه وتعالى يسخط على عبد وإذا سخط الله على العبد بالله عليكم هل سينعم بحياة؟!

الإنسان يقول نعم حقًا أنا أحتاج وقفة، لابد أن أقف الآن، ولكن وقفتي الآن! ماذا أفعل؟ أنا كثيرًا ما أسأت!، نحن عندنا أصل عظيم جدًا أصَّله لنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لكل مَن أساء إلى أبيه وأمه، ما هذا الأصل؟ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– جاءه رجل "فقال جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبوي يبكيان فقال ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما" صححه الألباني

جاءه رجل فقال يا رسول الله جئتك مهاجرًا من اليمن فقال وهل لك في اليمن من أحد قال بلى يا رسول الله أبي وأمي، قال كيف تركتهما، قال تركتهما وهما يبكيان، ليس لهم عائل، ليس لهم من ينفق عليهم غيري فيقول النبي – صلى الله عليه وسلم– "ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما".

الأصل الذي أريده الآن "ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما"، ارجع لهما مثلما أبكيتهما أضحكهما، مثلما أحزنتهما فرحهما وهذا ما أريد أن أصل إليه اليوم بعد هذا الكلام الذي قلته سريعًا سأقول ما دورنا لكل إنسان، دورنا لكل إنسان أبكى والديه وليس فقط أبكاهم، دور كل شاب ذبح أبوه وأمه، ذبحهم بعقوق، ذبحهم بنظرات، ذبحهم بكلمات، أقسم بالله أنا على يقين الآن أن هناك عشرات ومئات من أمهاتنا الآن يشاهدون الحلقة يبكون دم عندما نتكلم عن بر الوالدين بسبب الذي يفعله الأولاد ويفعلوه في الأم الآن، والله أعلم هذا يقينًا، أريد أن أقول ارجع إليهما وأضحكهما كما أبكيتهما قبل أن تبكي أنت.

إذا كنت أنت مَن عاقبت والدتك ووالدك بعقوقك صدقني أقسم بالله إن الذي سيتولى إنزال العقوبة عليك هو القوي سبحانه وتعالى، ماذا ستفعل حينها؟، والله إذا أنزل عليك سخطه وأنزل عليك غضبه أقسم بالله العظيم لو معك أموال الدنيا لن تتمتع بها والله لو معك الدنيا وما فيها لن تتمتع بها نهايتك ستكون سوداء.

انتبه.. الأب والأم ليسوا مسألة هينة، الأب والأم عندنا خط أحمر لا يمكن أبدًا، ستقول هما مَن يؤذونني، هما مَن يمنعونني من النقاب، هما مَن يمنعونني من اللحية.. أقول لك ليس البر أن يحسن الأب إليك وتحسن إليه ولكن البر أن يسيء الأب إليك –معذرةً في اللفظ أن يرفع الأب نعله عليك وأنت تكون مؤدب معه هذا هو البر، لأن بعض الناس يظن أن البر أن يعاملني والدي جيدًا فأعامله جيدًا، لا، البر الحقيقي يظهر عندما يرفع الأب النعل على الابن والابن في قمة الأدب مع أبيه، هذا هو البر وهذا هو البر الذي نرجوه، هذا هو البر الذي نرجوه.

إذن الأصل الأول إذا كان الأب والأم موجودين هذه من رحمة الله بك، فرحمة الله بك أن والدك ووالدتك موجودان، لماذا؟ لكي تضحكهما كما أبكيتهما، أن الله ترك لك مجال وفرصة أنك تضحكهما كما أبكيتهما، تحسن إليهما كما أسأت إليهما.

كيف يكون برهما بعد موتهما؟!

إذا مات الأب والأم كيف أبرهما؟ هنا قلت لك أن شريعة الإسلام وضَّحت لنا وضوحًا بينًا جدًا أن البر لا ينقطع مهما كان الأب موجود أو غير موجود البر لا ينقطع، ماذا تفعل؟ روشتة سريعة لكل من أساء إلى والديه وأراد أن يحسن إليهما بعد فوات الأوان، الأب مات والأم ماتت.. ماذا أفعل؟ ممكن يرضوا عني؟ نعم ممكن يرضوا عنك ولكن من الآن اعمل، ولكن كيف أعمل؟

١ – الاستغفار لهما، متى آخر مرة استغفرت فيها لوالديك؟ آخر مرة رفعت يديك وقلت اللهم اغفر لوالدي كان متى؟، آخر مرة رفعت يديك وتمسكت بالقرآن وقلت "رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" الإسراء: ٢٤، تقول لي في رمضان، أقول لك والله أنت عاق لوالديك.

إذن أول شيء أن تستغفر لهما، ما الدليل؟ أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة فيقول: أنّى لي هذا؟ –أنا لي عمل لدرجة معينة، أنا أجدني أُرفع درجة وراء درجة بم كل هذا– "فيقال باستغفار ولدك لك" صححه الألباني أنت تركت من ورائك ولدًا صالحًا، لا يكف أبدًا عن الاستغفار لك، كثيرًا ما يقول اللهم اغفر لأبي، اللهم اغفر لأبي، اللهم اغفر لأبي، فمع كل مرة أنت كنت ترفع درجات فأول شيء لا تنسَ أنك تستغفر لأبيك وأمك.

٢– الدعاء لهما

لا تنسَ أن تدعو له فدعاؤك لوالدك بعد موته من برك به، أقسم بالله العظيم يا أحبابي أنا أحزن على ناس ما شاء الله كانوا بارّين جدًا بأبيهم أو أمهم قبل موتهم، وبمجرد أن مات الأب أو الأم نسي والده ونسي والدته، لم يعد يدعو لهم قط، انتبه.. قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث" ومن بينها "ولد صالح يدعو له" صحيحه الألباني فأين الأبناء الصالحون اليوم الذين هم أول ما يبدأ يدعو بمجرد أن يرفع يديه ويحمد الله ويثني عليه قبل أن يدعو لنفسه وقبل أن يدعو لأولاده يدعو لوالده، أين هؤلاء الصالحون، أين هم الآن؟ أعرف إن شاء الله إنهم كثر.

٣– الصدقات الجارية

الأمر الثالث: الصدقات الجارية على الآباء والأمهات أين اليوم الشاب الذي مات والده فيشتري مصحف ويقول هذا صدقة جارية لوالدي، أين الولد أو البنت التي تفعل هذا اليوم؟ أين يا أحبابي؟ يحزنني والله أن يظهر عقوق الأولاد بعد موت آبائهم مسألة خطيرة جدًا.

يعني أنا كنت شاهد عيان في قصة، هذه القصة فيها الأب والأم قضوا حياتهم كلها في دول الخليج كل حياتهم في دول الخليج.. لماذا؟ لكي يضمنوا للأولاد وحياة كريمة وغير ذلك، عملوا الملايين واشتروا الأراضي والفلل والشقق والسيارات، وبين عشية وضحاها وقع البيت ومات الأب وماتت الأم وتركوا ثروة بالملايين لأبنائهم، وأنا كلمت الأولاد يا فلان فلان يعني أبوكم مات وترك لكم ملايين وترك لكم أموال كثيرة جدًا يعني أولى بكم وأحرى بكم أن الأب والأم الذين قضوا حياتهم كلها في الخليج من أجلكم وضيعوا ثمرة حياتهم، ثمرة شبابهم من أجلكم أنكم اليوم تخرجوا لهم صدقة جارية، قالوا لي والله يا فضيلة الشيخ إحنا بإذن الله تعالى سنسافر وإن شاء الله أول ما نعود بإذن الله تبارك وتعالى سنعمل مع حضرتك مشروع كبير جدًا جدًا صدقة جارية لوالدنا ووالدتنا، قلت لهم ما شاء الله لا قوة إلا بالله ربنا يا رب يجزيكم خيرًا، قلت لهم أين ستسافرون؟

قالوا لو عرفت حضرتك ممكن تزعل، قلت لهم أين ستذهبون؟! قالوا والله سنأخذ أولادنا ونذهب إلى مارينا، فكانت هذه الفاجعة الأولي! الأب والأم ماتوا من أيام وأنتم تذهبون بأولادكم إلى مارينا تتنزهوا! ما هذا؟

قلت يا رب الرجل مرمط نفسه طول حياته هو وزوجته من أجل أولادهم، الأولاد اليوم ويكأن الأب ما مات ولا الأم ماتت ولا أي شيء، فلما عادوا تكلمت معهم وكنت أمزح معهم قبل أن أفاتحهم في موضوع الصدقة الجارية لأبيهم فقلت لهم ما أخباركم؟ –هل تمتعتم هناك؟ صيفتم وفرحتم وكذا؟–، قالوا نعم كانت جميلة جدًا وما شاء الله أنفقنا مالاً كثيرًا جدًا لكن الحمد لله استمتعنا، فقلت يعني صرفت في حدود كم؟، قال ما يقرب من ٤٧ ألف جنيه!،

فالرقم أدهشني! ٤٧ ألف جنيه في أسبوع!، قال يا فضيلة الشيخ الأولاد يفرحوا ويستمتعوا، –صحيح ٤٧ ألف جنيه في ملايين الأب والأم تركوها ولا شيء، فقلت له طالما صرفنا ٤٧ ألف جنيه نريد عمل مشروع لوالدكم صدقة جارية كبيرة، نشتري مثلاً جهاز تحتاجه مستشفي من المستشفيات عندنا أو شيء، قالوا موافقون إن شاء الله يا فضيلة الشيخ غدًا نحضر لك ظرف فيه مبلغ من المال تشتري به ما تريد، قلت لهم نِعم الأولاد والله، نِعم الأولاد حقًا أني بمجرد أن أقول لكم نعمل صدقة جارية للأب والأم توافقون وترحبون.

أقل جهاز ممكن نشتريه لمستشفى مثلاً يحتاج أكثر من أربعين ألف جنيه، مثلاً ٤٧ ألف جنيه، مثلاً غسالة المناظير لأي مستشفي هذا الجهاز ممكن يكون بـ ٤٧ ألف جنيه فقلت طالما صرف ٤٧ ألف جنيه لحفله إن شاء الله يحضر ٤٧ ألف جنيه مثلهم للجهاز.

وأفاجأ في اليوم التالي بهؤلاء الأولاد يحضرون ظرف يا فضيلة الشيخ جئنا لك بمال ما شاء الله إن شاء الله تعمل به صدقة جارية ونريد أن نرى أحب الأعمال التي يحبها الله نضعه في الصدقة الجارية، أنظر إلى الظرف لا يمكن أن يكون به مال، لا، أكيد به شيك لأن الظرف ليس سميك، من المؤكد أن به شيك بالمبلغ لأن الظرف لن يكفي فوضعوا به شيك، أخذت الظرف ربنا يجزيكم خيرًا ويتقبل منكم –وتوقعت أن هذا الظرف يعني مفيش بعد كده–، وكانت الفاجعة أني أفتح الظرف وأجد فيه ٤٧٠ جنيه! من ملايين مملينة، يا حسرتاه تصرف ٤٧ ألف جنيه في مارينا ولما نقول له صدقة جارية لوالدك الذي ترك لك ملايين وأراضي وعقارات تعطيني ٤٧٠ جنيه وتقول أنا جمعت من إخواني! تبًا للأموال التي بعدت الأب عن أولاده فلم يستطع أن يربيهم كما ينبغي، ولم يستطع أن يعلمهم معنى بر والدين.

إذن أولاً الاستغفار، ثانيًا الدعاء، ثالثًا الأعمال الصالحة التي نقدمها لآبائنا وأمهاتنا من الصدقات الجارية وإن كانت يسيرة كلٌ على قدر استطاعته.

٤– حفظ القرآن والعمل به

حِفْظنا للقرآن وعملنا بالقرآن، وكل أعمال صالحة نقوم بها قال النبي –صلى الله عليه وسلم– " ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب! أنى لنا هذا؟ فيقال: بتعليم ولدكما القرآن" حسنه الألباني

إن العبد إذا تعلم القرآن وعمل به كسي والداه يوم القيامة حلتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها فيقولان أي رب بم كل هذا – لماذا ارتدينا هذه الملابس؟ – "فيقال: بتعليم ولدكما القرآن" ابنكم كان إنسانًا صالحًا.

وفي حديث حسن جميل حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة أريد أن أختم به هذه الجزئية أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال يوضح لمن يريد حقًا أن يبر بأبيه وأمه أضحكهما كما أبكيتهما، كيف أضحكهما كما أبكيتهما بعدما ماتوا قال النبي –صلى الله عليه وسلم– "إن أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرًا استبشَروا به" فرّح أبوك بتوبتك من ذنوبك ومعاصيك، فرّحي والدتك التي ماتت بعملك الصالح ولبسك الحجاب، فرّح والدك بتركك المعاصي، فرّح والدك بعملك الصالحات، فرّحوهم بأعمالكم الصالحة فأعمالكم معروضة عليهم، معروضة عليهم في قبورهم، فرّحوهم.

وماذا أيضًا؟ أحسن لكل إنسان والدك كان يحسن إليه قبل موته، كل واحد كان يحبه، بعد موته أحسن إليه مثلما فعل ابن عمر مع الأعرابي أكرمه وأحسن إليه.. لماذا؟ لأنه سمع النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "إنَّ مِن أَبَرِّ البِرِّ صلةُ الرجلِ أهلَ وُدِّ أبيه، بعد أن يُولِّيَ" صحيح مسلم

أحبابي الأب والأم ليسوا بالشيء الهيِّن، لا، لا شيء عالي جدًا، شيء غالي جدًا عندنا، صدقوني لابد وأن نتمسك بهم لأنهم باب من أبواب الجنة، وعلى النقيض أقول للآباء والأمهات إذا كنت اليوم حذرت الأولاد من العقوق فنحذر الآباء والأمهات من عقوق الأبناء وهذا بإذن الله تبارك وتعالى الدرس القادم لنربط الدرسين معًا عقوق الآباء وعقوق الأبناء، إن شاء الله نخلط الاثنين لكي نمزجهما معًا فلا تظن أن ابنك سيكون بارًا بك وأنت عاقٌ به.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا لما يحب ويرضى وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36